محاولات الانسلاخ عن الطابع الاسلامي في تركيا
خلال القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي

د. محمد دوغان *

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون(١)

»قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، وإبان نشوبها رأيت في رؤيا صادقة، الآتي:

رأيت نفسي تحت (جبل آرارات) واذا بالجبل ينفلق انفلاقاً هائلاً، فيقذف صخوراً عظيمة كالجبال الى انحاء الأرض كافة. وانا في هذه الرهبة التي غشيتني رأيت والدتي - رحمة الله عليهالله - بقربي. قلت لها:» لاتخافي ياأماه! انه أمر الله. انه رحيم، انه حكيم«. واذ أنا بتلك الحالة اذا بشخص عظيم يأمرني قائلاً:

- بيّن اعجاز القرآن.

أفقتُ من نومي، وادركتُ انه سيحدث انفلاق عظيم، وستتهدم الأسوار التي تحيط بالقرآن الكريم من جراء ذلك الانفلاق والانقلاب العظيم، وسيتولى القرآن بنفسه الدفاع عن نفسه حيث سيكون هدفاً للهجوم، وسيكون اعجازه، حصنه الفولاذي، وسيكون شخص مثلي مرشحاً للقيام ببيان نوعٍ من هذا الاعجاز في هذا الزمان - بما يفوق حدّي وطوقي كثيراً - وأدركتُ اني مرشح للقيام بهذا العمل.«(٢)

١- إيديولوجية ما بعد الحرب وثورات التطهير من الاسلام

يجب ان نعرف إنهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى، والغاء الخلافة وتأسيس الجمهورية والاجراءات التي تمت بعدها ككل. وقد حصلت القوى الاستعمارية على إمكانية هدم الدولة العثمانية كالتي كانت تعد جزيرة الأمل امام العالم الاسلامي، وذلك بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى وقد فعلوا ذلك. ومقابل خطر سراية الثورة البلشفية، فقد ولد مؤتمر الاناضول نتائج في موضوع سراية التأثير المعنوي الى جانب المجال الفيزيائي للدولة. وبعد اتفاقية لوزان شكل المسؤولون الاتراك دولة كالدولة التي تريدها القوى الغالبة بعد السلام، بعيدة عن الاسلام مجردة من التأثيرات المعنوية والثقافية. والارضية الفكرية لهذه المرحلة، عرفت بالتعبير الرسمي »ايديولوجية ما بعد الحرب، ويمكن إسناد عملية تطبيق برنامج المعاصرة في المرحلة الاولى من الجمهورية جبراً وبالقوة بينما كان يمكن تحقيقه بدعم من الشعب - إلى متطلبات »ايديولوجية ما بعد الحرب«.

وقد كان القادة الاتراك في الثلاثينات من هذا القرن محقين بالافتخار بأنهم خلصوا البلاد من الاسلام. اذ كانت الاجراءات التي قاموا بها اعتباراً من سنة ١٩٢٢م عظيمة وحتى مدهشة. فقد الغوا الى جانب المؤسسات التي توقظ المؤثرات السياسية والاجتماعية للاسلام المظاهر الشكلية وحتى الثقافة الموازية له، وقد توصل ذلك لحد إلغاء الموسيقى التركية ضمن هذا الاطار. وقد تم ذلك خلال عشر سنوات بحركة تصفية او تنظيف واسعة. وحسب بعض التخمينات ان عدد الذين قتلوا خلال حركة التصفية هذه يقدر بأكثر من عدد الذين قتلوا خلال حرب الاستقلال.

وخلال هذه المرحلة طرد الاسلام من المركز الى الاطراف ومن المدينة الى القرية والريف. وحكم عليه من الرسمية الى غير الرسمية ومن الشرعية الى خارج القانون. حتى انه خلال فترة منع إعطاء اي خبر او معلومات تتعلق بالاسلام بالطريق العادي ونشرها في وسائل الاعلام. وطبقوا سياسية توحيد التدريسات وسياسة توحيد النشريات في آن واحد.

وقد الغيت جميع المؤسسات التي تعلم الإسلام- المتعرض للضغط المستمر- على المستوى الاكاديمى. وجعلت امكانية العيش المشروعة له - بشكل نظري على الاقل - مفقودة. ودفع الى خارج مجال التفكير. والذي يدقق الصحف والمجلات الصادرة في تلك المرحلة يجد انها كانت تبحث عن الاسلام »بالرجعية« فقط، يعني انه يذكر بشكل سلبي. وإذا نظرنا الى

المنظر العام في تلك المرحلة نشاهد وكأنه لم تعش الثقافة الاسلامية في هذه الارض طيلة الف سنة، وكأن الناس لم يجدوا هويتهم وشخصيتهم فيه.

هل يمكن إلغاء دين بمنطق وضعي؟ وهل يمكن قلعه من داخل الشعب الذي تأصل فيه؟ وإذا نظرنا الى المسؤولين في تلك المرحلة يكون ذلك ممكناً. فقد سعوا لإعداد جيل معاد للدين او خارج عن الدين بالتربية الايدولوجية في المرحلة التي لم يعلم فيها الدين ابداً. والى جانب عدم توصل هذا الى النجاح التام لأسباب تتعلق بفطرة الانسان فإن التعليم الرسمي لم يصل الى قسم كبير من البلاد. ولم تحقق الابجدية اللاتينية القفزة السحرية المنتظرة، ولم يصبح كل شخص يقرأ ويكتب بهذه الابجدية خلال زمن قصير رغم خطاب الرئيس المتحدي! وعلقت جميع الآمال بعد هذه المرحلة على نشر التعليم. وكأنه عندما يتلقى جميع السكان التعليم »خاصة التعليم العالي« فإن كل الناس سيصيرون بلا دين. وقد شوهد ان التعليم غير كاف من زاوية سياسة الإبعاد عن الدين، واتضح ذلك مرة أخرى من زيادة عدد المحجبات في التعليم العالي.

٢- الاصول التقليدية تجاه الوسائط المعاصرة

إن بعض الشخصيات التي لم تأخذ مكانها في التأريخ المكتوب في المرحلة الاخيرة في تركيا وفقت في تحقيق ما لم يستطع عليه قادة البلاد بميزانيتهم الضخمة وكوادرهم الواسعة ووسائل الاعلام الحديثة وقواتهم المسلحة. إن من بين الاشخاص الذين يتحاشى كتاب التاريخ الرسمي في تركيا ذكرهم حتى ولو بشكل سلبي ولم يعطوهم أية مكانة في كتبهم، هو بديع الزمان سعيد النورسي وكان يشغل كانة مهمة. وقد كان سعيد النورسي احد الذين تحملوا الوضعية المبعدة عن القواعد وغير معتادة للاسلام، حتى انه كان اول من قام بذلك.

في الحقيقة ان سعيداً النورسي ليس شخصية جديدة لمرحلة الجمهورية اذ قد اهتم سعيد النورسي في شبابه بمواضيع مختلفة بشكل فعال من التربية وحتى السياسة، وجاء الى إسطنبول سنة ١٩٠٧م من اجل تأسيس مدرسة الزهراء التي هي على شكل جامعة والتي فكر بتأسيسها في الشرق. وبعد هذا التاريخ عاش حياة حركية جداً وعند إعلان المشروطية الثانية كان في سلانيك من مؤيدي المشروطية. وكان من بين مؤسسي فرقة »الحزب« الاتحاد المحمدي سنة ١٩٠٩م. والقي القبض عليه بسبب حادثة ٣١ آذار ثم برأته المحكمة. وقد عاش سعيد النورسي احداثاً كثيرة خلال هذه المرحلة من حياته بما فيها الحرب والاسر في جبهة القفقاس. ورغم دعمه للكفاح الوطني، إلا انه رجح حياة الانزواء في جبل بمدينة وان بسبب الوسط الذي تشكل بعد الكفاح الوطني. وربما تكون حياة الانزواء هذه التي عاشها مع بعض تلاميذه مرحلة إعداد للكفاح السلبي التي ستبدأ فيما بعد. وقد اعتقل بسبب حادثة الشيخ سعيد.

وبعد ذلك حكم على سعيد النورسي بالاقامة الجبرية في منطقة بارلا التي يصعب الوصول اليها في ولاية اسبارطة. وقد كانت إدارة الجمهورية تظن انها جعلته معدوم التأثير بنفيه الى هذا المكان النائي او حتي انها كما ظن انها قضت عليه.

وقد أظهر سعيد النورسي في حياة المنفى هذه امرين. الأول: يمكن التعبير عنه بالقول »الاسلام في اضيق الشروط«. يعيش في قرية صغيرة نائية يصعب الوصول اليها. وربما كان كل غذاءه عبارة عن صحن من الحساء.

والثاني لقد بين انه يمكن التبليغ الى الكتل الشعبية الواسعة دون امتلاك اية وسيلة من وسائل الاتصالات الحديثة. لقد أثبت انه يمكن التوصل الى الكتل المؤيدة الواسعة من الشعب ونشر الفكر بينها في بلد جعلت جميع وسائل الاتصال فيه تحت السيطرة واغلقت جميع قنوات البث في وجه الإسلام.

٣- موافقة الشروط الجديدة من »الإسلام في اضيق الشروط«.

خلال مرحلة العشرينات والثلاثينات من هذا القرن والتي طرد فيها الاسلام من المركز الى الاطراف، ومن المدينة الى القرية والريف، وحكم عليه من الرسمية الى غير الرسمية، ومن الشرعية الى خارج القانون؛ حتى انه خلال هذه الفترة التي منع اعطاء اي خبر ومعلومات تتعلق بالاسلام بالطريق العادي ونشرها في وسائل الاعلام، لم يستطع النظام القضاء على الاسلام. وهذه

الاوضاع التي لم تكن في الحسبان، كانت نتيجة جهود قادة العلم والمعنويات وكفاحهم السلبي، والذين استطاعوا القول »الاسلام حتى في اضيق الشروط« وقاموا بالتبليغ وتوصلوا الى الكتل البشرية الواسعة دون استخدام تقنية النشر الحديثة التي تلاقى رواجاً واسعاً. ولسعيد النورسي مكانة خاصة بين هؤلاء القادة.

وقد تم إغلاق او مراقبة مراكز التعليم الاسلامي التقليدية وشبكات الاتصال خلال هذه المرحلة. لذلك لم ينشر سعيد النورسي أفكاره من الجامع الذي كان تحت المراقبة. وبنفس الشكل كان من المستحيل استخدام وسائل الاتصال المعارضة. لقد كان من المستحيل طبع كتاب في المطابع ناهيك عن اصدار صحيفة او مجلة. ولم تطبع كتب »رسائل « سعيد النورسي الاّ في الستينات بعد تخصيص رئيس الوزراء عدنان مندريس ورقاً من مؤسسة السليلوز من أجل الطباعة.

لقد قاوم سعيد النورسي مطابع النظام الجمهوري التي تطبع آلاف الكتب، والصحف والمجلات التي تباع بمئات الآلاف، ومحطات الراديو التي تصل الى آذان الملايين، باسلوب يمكن عده بسيطاً وابتدائياً جداً. وقد نشر فكره دون استخدام التقنية المستخدمة باسلوبه الخاص وبالاصول القديمة جداً. وكونه ليس ممكناً استنساخ كتبه في المطابع قام باستنساخها كتابة باليد. إن الاستنساخ بالكتابة اليدوية مهما كان سريعاً يبقى غير كاف بشكل لا يقبل المقايسة مع الانتاج الكتلوي. ويوجد في المجتمع اميين ويشكلون الاكثرية لذلك استخدموا اسلوب القراءة الجماعية. وقد ادى هذا الاسلوب فيما بعد الى ظهور فرقتي الكتاب »النساخ« والقراء بين تلامذة بديع الزمان.

لقد مسح من الذاكرة جميع المفكرين سميين اصحاب الشهادات الخاصين بمرحلة الجمهورية. حتى انه يمكن مناقشة موضوع فيما اذا نشأ مفكرين ام لا في مرحلة الجمهورية. وإن نشأ مفكرون في مرحلة الجمهورية فإن هؤلاء اتخذوا مكانتهم خارج الايديولوجية الرسمية. وقد عمل سعيد النورسي اشياء كثيرة غير التفكير في مرحلة الجمهورية. لقد طور بديع الزمان في مرحلة النفي سلوكاً مؤثراً تجاه النظام، لكنه يرى من الوهلة الاولى انه سلوك مقاومة سلبية. وقد كان يخمن عدد المنتسبين اليه سنة ١٩٥٠م حوالي مليون شخص.

فكما كان سعيد النورسي في وضع تقليدي وتجديدي في الفكر الديني، كان في الموضع السياسي في وضع خارج السياسة وفي وضع سياسي ايضاً. ومهما كان سعيد النورسي صاحب افكار تدعو للابتعاد عن السياسة الا انه عندما لزم الأمر لم يتأخر عن تأييد الحزب الديموقراطي ضد حزب الشعب الجمهوري الذي استمر في عقلية الحزب الواحد.

وقد لفت سعيد النورسي النظر الى الازمة المعنوية التي يعيشها العالم، فقال: »إن مرضاً، ووباء وطاعوناً ينتشر في الارض ولد داخل المجتمع الغربي الذي تزعزت اسسه المعنوية. فما هي الوسائل التي سيقاوم بها المجتمع المسلم هذه العلة السارية؟ هل بالاساليب الغربية المتعفنة ، والمتفسخة والباطلة؟ ام بالاسس الايمانية للمجتمع المسلم؟ إني اشاهد العقول الكبيرة في غفلة. إن الاعمدة المنخورة للكفر لا تحمى قلعة الايمان. لذلك فانني اكثف جهودي من اجل الايمان فقط«. وبهذا يبين مستند مبادئه العامة. لكن كان له طرفاً منطوياً على الداخل، ويحتمل ان تكون رابطة السياسة قد جادت من هنا، فيقول: »إن الذي يؤلمني هو المخاطر التي يتعرض لها الاسلام فقط. كانت المخاطر تأتي في السابق من الخارج، لذلك كانت المقاومة سهلة. اما الخطر الآن فيأتي من الداخل. لقد دخل السوس في الجذع وصعبت المقاومة الآن. واخشى ان لا تتحمل بنية المجتمع ذلك، وذلك لانه لن يكتشف العدو. وسيظن ان اكبر خصم له والذي يقطع شرايينه ويشرب دمه هو صديقه الحميم«.

بينما كان سعيد النورسي يقوم بالتبليغ في اضيق الشروط باستخدام الوسائل التقليدية، لم يعترض على استنساخ كتبه ورسائله عندما تغيرت الشروط. فقد كانت الشروط الجديدة تعرض إمكانيات جديدة، وكان من اللازم الاستفادة من هذه الامكانيات. في الستينات نشرت الرسائل بدعم من رئيس الوزراء من الحزب الديموقراطي، وبدأت مرحلة جديدة في الاتصالات. وقد صادف ذلك قبيل وفاته بعدة سنوات. لذلك كانت وسائل نشاطات التبليغ التي ستتم في غيابه معلومة.

ومن طرف كان يستفيد من الامكانيات الجديدة التي حققتها الشروط الجديدة، ومن طرف آخر كانت تظهر الشروط او

الامكانيات الجديدة في الارضية السياسية. وكان يجب التحرك حسب هذه الشروط. لذلك لم يبتعد سعيد النورسي في المرحلة التي عاش فيها عن السلوك السياسي. وإذا كانت السياسة هي فعل الممكن، فإنه فعل الممكن وأتم حياته.
وبعد وفاته حدث غير الممكن بالنسبة له، واستمر في جعله موضوع حساب سياسي واسع. وإن الاحداث التي جرت لم تستطع الحيلولة دون اضفاء مقام له في مدينة اورفا لكنها منعت جعل قبر معروف له. ويحتمل ان تكون هناك حكمة من ذلك. لأن وجود قبر معلوم يمكن ان يشكل قضية من حيث زيارته وكيف تكون الزيارة.

٤- التعبير باستخدام وسائل العصر

لقد كان من المستحيل تبليغ الاسلام او المناداة به بالتعليم الموجود او بوسائل الاتصالات الموجودة في تركيا القرن العشرين منذ سنة ١٩٢٤م حتى سنة ١٩٤٠م بعد إغلاق مجلة سبيل الرشاد التي كان يصدرها محمد عاكف والتي جمعت في بنيتها رجال العلم والفكر الاسلاميين. والتي كانت تصدر في مرحلة المشروطية الثانية لم تبق ساحة للتعبير عن الفكر الديني بشكل كتابي. وقد رأى محمد عاكف مؤلف النشيد الوطني والمشارك في حرب الاستقلال كنائب برلماني، ان امكانية العيش في تركيا صارت مفقودة واضطر للذهاب الى مصر. وقد صدرت في هذه المرحلة بعض الرسائل البسيطة الموجهة الى الكتل الشعبية، لكن لم تتحقق اية نشريات موجهة للمثقفين.

لقد قام نورالدين طوبجو الذي اكمل دراسة الدكتوراه في الفلسفة بفرنسا باصدار مجلة باسم حركة، ولأول مرة سنة ١٩٣٩م، فقد تلفظت قيمة الاسلام مع نقد الحضارة والتقنية الغربية، بشكل يوقظ التأثير في المثقفين. وفي اول عدد لهذه المجلة والصادر في شباط سنة ١٩٣٩م يقول نورالدين طوبجو في مقالته بعنوان »حركات النهضة« بوضع رأي ينتقد فيه الحضارة والعلم والتقنية الغربية في الوقت الذي كانت فيه صاحبة مكانة لا تتزعزع في تركيا: »إن الحاكمية المنفردة التي اكتسبتها الصناعة الكبيرة في القرن العشرين، والتي اعدت الزمرة المستبدة، وغايتها العلم الحديث غير المثالي الذي غايته معرفة كل شئ في القرن التاسع عشر. والعلم الحديث بدل ان يخلق نهضة داخل الانسانية بالقيم الروحية والاخلاقية، قام بضمان السلطة التي لا تتزعزع على المواد الخام كي تستطيع الأمم الاوروبية استثمار الانسانية بشكل مكمل ومؤمن«. وإذا تمت مقايسة هذه الافكار مع الوجيزة التي قيلت قبل فترة قصيرة وانتشرت وقبلت على شكل دستور »إن المرشد الحقيقي هو العلم الحديث«، سيشاهد في اي محتوى ستستقر! .

وبعد ان يبين نورالدين طوبجو للمثقفين الذين ينتظرون الخلاص والحل من اوروبا ان اوروبا محرومة من الحركات الداخلية التي ستخلصها، ويقول اننا يمكن ان ننتظر نهضة العصر من أنفسنا، وأن اهم شرط لجعل ذلك ممكناً يكمن في بقائنا بعيدين عن اوروبا:» إن الامة التي بقيت خارج الخريطة الاوربية التي دخلت فيها الحضارة الاوروبية يمثل امتنا يمكن ان تنتظر نهضة العصر من نفسها. وإن الشرط الاساسي للقيام بهذه النهضة هو البقاء خارج الخارطة الاوروبية ،والابتعاد عن الحرص والانانية الاوروبية.

ويذكر نورالدين طوبجو في نفس المقالة النهضة التي حققها الاسلام في حران بجنوب شرق الاناضول في القرن العاشر. وتناول كلمة النهضة »Renaissance« هي على الأقل يوقف المفهوم الذي يُعدّ خاصة في اوروبا. ويدعي طوبجو ان وجود الامة في الاناضول، مصدر الانسان هو محصول هذه النهضة. »إن الفيض الاخلاقي للنهضة الاسلامية التي ولدت في حران في القرن العاشر جاء في التصوف الذي هو الشكل الموثوق للاسلام، وكان اول حملة لهذه الحركة، وشكّل امة من التركمان الذين دخلوا في الاسلام في تلك المرحلة في الاناضول. نحن امة شكلتها تلك النهضة«.

إن نورالدين طوبجو كمفكر مسلم اكمل تعليمه في الغرب لعب دوراً مهماً في تشكيل نموذج المثقف المسلم الذي تلقى التعليم على الطراز الغربي في التاريخ القريب لتركيا. والاسم المؤثر والمشهور في هذا المجال هو الشاعر والاديب الذي اكتسب شهرة كبيرة نجيب فاضل. فقد قام بنشريات اكثر شيوعاً وإثارة في مجلة بويوك دوغو »الشرق العظيم« التي نشرها

على فترات اعتباراً من سنة ١٩٤٣م. فبينما نجد طوبجو يقف بعيداً تماماً عن السياسة، نشاهد نجيب فاضل يسلك سلوكاً سياسياً باستمرار، ويتوجه الى تطوير وتأسيس علاقات سياسية. والملفت للنظر ان هذين الشخصين اكملا دراستهما او استمرا في الدراسة في اوروبا. والنقاط المشتركة بين طوبجو ونجيب فاضل لا تنتهي بذلك ، حيث ان دخول هذين الشخصين بهذا المجرى حدث بعد تعرفهما وعلاقتهما مع مشايخ النقشبندية سنة ١٩٣٠م الذي يشكل النقطة المشتركة الاخرى والمهمة بينهما.

وكيف كان احد طرق التبليغ الاسلامي بعد مرحلة الجمهورية انه الطريق الذي اتبعه سعيد النورسي وبعض رجال العلم والدين في اضيق الشروط وبالاساليب التقليدية والتبليغ بالإمكانيات القديمة، والثاني باستخدام وسائط الاتصالات الجديدة وتوجيه النداءات للكتل البشرية بشكل واضح.

٥- من طراز التعبير القديم الى وسائل الاتصالات

بعد الجمهورية طرد الاسلام من المركز الى الاطراف، ومن المدينة الى القرية والريف، ودفع من الشرعية الى اللاقانونية، وعند تناولنا لأساليب التعبير الإسلامية خلال ذلك وقفنا عند طريقين. احد هذين الاسلاميين، التبليغ في أصغر الشروط وهو الاسلوب الذي اتبعه رجال العلم والدين الذين نشأوا بالاصول التقليدية، وبالاساليب التقليدية وببعض الإمكانيات القديمة. والثاني، التبليغ بتوجيه الدعوة بشكل واضح باستخدام وسائل الاتصالات الجديدة.

وقد عاش الذين اختاروا الاسلوب الاول بعد الانتقال الى الحياة المتعددة الاحزاب فروقاً في الاصول التي اتبعوها في شكل التعبير عن انفسهم في الارضية السياسية وفي موضوع الاستفادة من وسائل الاتصالات الحديثة.

إن سعيد النورسي عاش داخل السياسة بشكل فعال في بداية القرن العشرين، وبعد إعلان الجمهورية ابتعد عن السياسة تماماً، واختار اسلوب تبليغ يمكن وصفه بالسلبي »غير الفاعلي« يهدف النجاة بايمان الشعب. وبعد الانتقال الى الحياة المتعددة الاحزاب لم يعد سعيد النورسي الى السياسة الفعالة كما كان في مرحلة المشروطية الثانية، لكنه لم يبق خارج السياسة. وقد اتخذ موقفاً يؤيد الحزب الديموقراطي ضد حزب الشعب الجمهوري الذي استمر بعقلية الحزب الواحد. وكان هذا في نفس الوقت قضية تتعلق بمواكبة الشروط الجديدة من طرف قطاع من الشعب تخلص من الضغوط لحد معين. وقد اقام سعيد النورسي علاقات مع ادنى القطاعات الشعبية من المنظور الاجتماعي والثقافي في اضيق الشروط، بل اضطر لإقامة هذه العلاقة، وانتشرت أفكاره بينهم. وفي المراحل الاخيرة من حياته وجد سعيد النورسي إمكانية لطبع رسائله، وبهذا يكون الوضع قد اعد حسب الشروط الجديدة بالنسبة له.

وبعد وفاة سعيد النورسي، استمر نشر النصوص المطبوعة رغم العوائق المختلفة من طرف، واستنساخها بالاصول القديمة ونشر افكاره من طرف آخر. وظهرت زمرة من المنتسبين تختلف مسالكهم وتعليمهم. وتوقفت حركة النور في تجديد نفسها لقدر ما بمنتسبيها من اصحاب القوة والكلمة في التعليم العالي والموظفين في الدولة والجامعة والحياة التجارية. والى جانب ذلك فقد لفت الانتباه ظهورها كتيار رجحت كفة الامور التي لم تتغير فيه رغم تغير الشروط. وقد شوهد ذلك بشكل خاص باستمرارهم في سلوكهم السياسي السابق. وقد صارت حركة النور بالاعتبار العام صاحبة سياسة ثابتة وذات طور متعصب.

والذين خرجوا من داخل هذا التيار، بدأوا باستخدام وسائل الاتصالات الجديدة متأخرين جداً رغم توفر الإمكانيات. ونستطيع ان نذكر مجلة الاتحاد الاسبوعية كأول نشرة موقوته تصدرها جماعة النور وذلك سنة ١٩٦٧م. واستمرت الاتحاد بالصدور طيلة اربع سنوات، وقامت بحملة للتحول الى صحيفة يومية. ونتيجة هذه الحملة صدرت صحيفة ينى آسيا سنة ١٩٧١م. وإن استخدام وسائل الاتصال الجديدة ادى الى ظهور نقاشات بين منتسبي رسائل النور. وقد اختار قسم منهم الاستمرار في الاسلوب القديم تماماً. وقد تعرضت صحيفة يني آسيا التي تستمر الى الآن في الصدور لتغيير اسمها في بعض الاحيان. واكثر هذه الاسماء انتشاراً ينى نسل، وقد صدرت لفترة مع يني آسيا كصحيفة قطاع مختلف.

لم تظهر صحفهم الجديدة اسماً يلعب الدور القيادي لفترة طويلة. لذلك فإن هذا التيار ذو المنشأ التقليدي ظهر بوضوح على انه تجديدي في الاتصالات وثابت »متعصب« في السياسة والفرق الذي جاءت به وسائل الاتصالات الجديدة شوهد خلال ظهور »حزب النظام الوطني« الذي يحمل محتوى دينياً.

٦- الإسلام بجميع الامكانيات

كون جماعة النور تمثل الاسلام في اضيق الشروط، لذلك لم يرجحوا الطريق السياسي بشكل اولوي. واستمروا بقبول السياسة على مبدأ اهون الشر رغم تغير الشروط.

بينما كانت تستخدم إن أفكار بديع الزمان سعيد النورسي بعد وفاته في الدورة الداخلية كما كانت سابقاً، حصلت ترددات عند دخول وسائل الاتصالات الجديدة الى الدورة. وظهر فرق بين الذين لا يريدون التوسل الى هذه الطرق منذ البداية وبين الذين يؤيدون ذلك . ثم تشكلت الفروق في إطار وسائل الاتصالات فيما بعد.

إن منتسبي رسائل النور الذين عبروا من مبدأ افضل نشر للاسلام في اضيق الشروط« استطاعوا إزالة ترددهم في استخدام الامكانيات والشروط الجديدة خلال وتيرة بطيئة جداً. وقد كانت هذه الوتيرة بنفس الوقت وتيرة الافتراق والانفصال.

وقد كانت الوتيرة بطيئة جداً في موضوع الدور الذي سيلعب في السياسة، اكثر من بطئها في إقامة وسائل الاتصالات الجديدة مكان الاساليب التقليدية. إن البقاء خارج السياسة في مجتمع تلعب السياسة فيه دوراً مركزياً يمكن ان يكون مؤثراً كالبقاء داخل السياسة. لكن تمسك جماعة النور بموقف محافظ بمعنى الوقوف ليس بداخل السياسة ولا بخارجها شكل عائقاً في اظهار موقف سياسي تام حتى يومنا هذا. ولا شك انه خلال تأسيس حزب النظام الوطني ثم تحوله الى حزب السلامة الوطني فيما بعد ادعى الى مناقشة موضوع العلاقات السياسية في الجماعة بشكل مؤثر. فقد تحملت بعض الشخصيات المنتسبة الى جماعة النور ادواراً هامة في مراحل تأسيس هذين الحزبين.

يجب ان نبعد عن انظارنا ان التحزب لم يظهر كمؤسسة او طراز جديد لمرحلة الجمهورية فقط، وانما لجميع المراحل. وإن هذا الطراز الجديد المتعلق بشكل قريب جداً من الشروط التي يوجد فيها، لا يعد خاصية تستطيع الايصال الى النتيجة بسولة وبشكل طبيعي لقبوله او كيفية تفسيره. إن الموقف تجاه الحزب الجديد ادى الى الانسداد في القابلية للتوافق مع شروط تناوله، وفي النتيجة الى القساوة.

إن سعيد النورسي كمبلغ لم يحدث قواعد قاسية وتنظيم صاحب بيروقراطية. وإذا كان مثل هذا التنظيم يرى غير ضرورياً، الا انه ربما يكون مستحيلاً. وإنه يمكن متابعة التنظيم صاحب القواعد وعرقلته دوماً. وقد نظم سعيد النورسي الذي يشكل نموذجاً لموضوع التبليغ المستمر وفي الشروط الضيقة حياته على هذا الاساس، ووقف نفسه لدعوته ولم يتجاوزها. وفي المراحل التالية، نذر بعض الاشخاص انفسهم وسيرهم على طريقه، جلبت تجديدات مؤثرة بقدر تأسيس حزب سياسي. وإن إعطاء الكادر التبليغي المستمر انفسهم تماماً مثل استاذهم مكان غوائل الحياة اليومية ادى بلا شك الى ظهور نتائج مهمة.

إن فتح الله كولن الذي بدأ بالظهور كواعظ سنة ١٩٧٠، تمايز بفرقه في موضوع التوافق مع الشروط الجديدة من زاوية تيار رسائل النور. وإن اختياره لطريق التبليغ في الجامع الذي لم يكن من اماكن التبليغ عند سعيد النورسي، هو من علامات التوافق مع الشروط الجديدة. وذلك لأن الجامع سنة ١٩٧٠م في تركيا كان يختلف كثيراً عن الجامع في العشرينات والثلاثينات من ناحية المكانة. فبعد المرحلة التي منع فيها حتى إنشاء الجوامع، أنشئت آلاف الجوامع من قبل الشعب وظهرت الجماعات التي تملأ هذه الاماكن. والجديد الاخر هو توجه الدولة لفتح ثانويات الأئمة والخطباء وكليات الالهيات من اجل اعداد رجال الدين. وصارت الجوامع مفتوحة للتبليغ المنتشر كمكان للجماعة الواسعة وليس لزمرة منتسبين معينين.

إن القسم المرتبط بفتح الله كولن لم يدخلوا الصحافة بهويتهم المباشرة مثل عدم دخول جماعة النور في السياسة بشكل مباشر، بل انتقلوا اليها بشكل غير مباشر. ولا يزالون حتى الآن يستمرون في نشر صحفهم بطراز تعبير عن هوية عامة. وهم

يعطون اهمية كبيرة في مجال الانتقال - للخارج الى جانب الصحف والراديو والتلفزيون - لمؤسسات التعليم والتربية. وهم يسعون لإعطاء التربية التي هي حاجة هذا العصر المريض من طرف، ويسعون لتشكيل نسيج اسلامي عام بحركة نور اكثر بساطة من طرف آخر.

وإذا وضعنا حياة بديع الزمان بعين الاعتبار، فإن فتح الله كولن الذي ظهر من الجماعة المنتسبة اليه، يجلب الانتباه بانه يقف وسط شبكة وسائل الاتصالات والحقيقة انه يمكن قبول ذلك كوتيرة طبيعية. وفي السنوات التي ظهر فيها وعرف كواعظ، يصادف مرحلة دخول اشرطة التسجيل فيها الى الدورة. وقد اكتسبت اشرطة فتح الله كولن في السبعينات انتشاراً واسعاً، ووصلت الى كتلٍ واسعة. وبعد ذلك استمر نفس الشئ بالاشرطة المرئية. ولم يتردد هو والمرتبطون به الواقفون في وسط هذه الشروط في استخدام جميع وسائل وقنوات الاتصال الممكنة. كما ان الهوايات الشخصية لفتح الله كولن تجلب الانتباه. ويعرف ان له ميولاً فنية مختلفة، وأنه يكتب شعراً يذكّر بالشاعرين الكبيرين يحيى كمال ونجيب فاضل. والأهم من ذلك يجب الوقوف عند نقطة لموافقته - على الاقل- على انشاء هذه الاشعار وتقديمها للمستمع.

النقطة الموجودة اليوم، نقطة تختلف عن الاسلام في اضيق الشروط لسعيد النورسي. وتوجد ساحات جديدة ، وإمكانيات ووسائط جديدة. وليس من الممكن عد السياسة غير موجودة بين الوسائط الجديدة. ورغم ذلك، فإن السياسة التي تشكل العمود الثالث للمنضدة الى جانب الصحافة والتربية لم تر بشكل واضح. وإن مساعي الانفتاح على الخارج التي ظهرت في المرحلة الاخيرة، يمكن ان توصف بأنها تجربة وضع العمود الثالث بمكانه، لكن يمكن القول انه ليس من السهل ان يعطي تيار يتصرف بتأنٍ دائم في موضوع السياسة قراراً بالظهور كطرف سياسي في حالة ظهور الإمكانيات المناسبة أمامه.

* * *

الهوامش: (١) سورة الحجر:٩.(٢) مكتوبات/ ٤٧٥